

## القواعد الضابطة

(٣)

# لدرجات الحديث الضعيف

بقلم : الاستاذ محمد ابراهيم ابو شقرة  
المدير الاداري بوزارة الاوقاف

قال رسول الله ﷺ :

« من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار »

### علامات وبيئات :

لا يرتاب طالب علم في ان كلمات الرسول الكريم صلوات الله عليه وآله وسلامه هي التي رسمت الطريق الواضحة امام السالكين للاخذ بسنته والقيس من حديثه ، وانها هي التي وضعت العلامات البينة على جانبيه لتكشف للعالم والمتعلم ما قد يخفى مع تقادم الزمن ومرور الاعوام ، وانها هي التي حددت الغاية لكل طامح الى بلوغ منازل اهل العلم ، وكأنه عليه السلام كان بهذه الكلمات يعزم على امته ان يكونوا صادقين معه في حملها وابلاغها للناس من بعده وفي حياته .

### تخرج الصحابة في الرواية :

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم - وهم الذين عاشوا انبل فترة انسانية في عهد النبوة - يتخرجون اشد الخرج من الرواية عن رسول الله ﷺ خشية ان يقعوا في خطأ نسبة ما يروون الى رسول الله ﷺ ، وكانوا يرون في بعض الاحاديث ترويعا لقلوبهم يصدها عن التحدث بكل ما نعى ، وذلك كقوله عليه السلام ( كفى

بالمرء كذبا ان يحدث بكل ما سمع ) وكانوا اذا رويوا او سمعوا تشددوا في الرواية والسامع كما أن الصحابة رضوان الله عليهم كسانوا يلمحون من بعض كلمات الرسول صلوات الله عليه انه سيكون اجترأ في الكذب عليه غير انهم لم يكونوا قادرين على تحديد المدة التي سيقم فيها مثل ذلك ، فكان هذا اللمع من الحوافز القوية لهم على الاقلال من الرواية والتشديد في قبولها .

### الجرأة في الرواية والكذب فيها :

لكن بالرغم من السلوك الواعي الحذر من الصحابة رضوان الله عليهم فقد نهدت على طريق السنة تنوعات الاحقاد ، وبرزت على جانبه ترات الاختلاف ، واحاط الغاية التي انبتتها السنة ضباب الجهل من كل جوانبها ، فاعتري هذه الكلمات ما لم يكن في حسابان القرن الاول ان يكون من البهت والاستخفاف ، وصار الامر فيها على غير ما كان يؤمل للسنة من نقاء على طول الحقب والسنين ، واجترأ من اجترأ على الكذب على رسول الله ﷺ فكان الحديث الموضوع .

### ابن الحديث الموضوع من الحديث الضعيف :

الحديث الموضوع عند علماء المصطلح هو احد افراد الحديث الضعيف ، والحديث الضعيف هو قسيم الصحيح والحسن ، ولذا فانك واجد الكلام عن الحديث الموضوع عندهم دائما يأتي في باب الحديث الضعيف ، وهذا ما درج عليه كل من ألف في علم مصطلح الحديث ، ففي التقريب للإمام النووي مثلاً يقول : ( النوع الحادي والعشرون : الموضوع ) ، ويعنى بالنوع الحادي والعشرين من انواع الحديث الضعيف .

وعندى ان الحديث الموضوع كان ينبغي ان يكون قسماً رابعاً عند ارادة تقسيم الحديث ، لا ان يكون فرداً من قسم الضعيف ، فيقال : اقسام الحديث اربعة : الصحيح ، الحسن ، الضعيف ، والموضوع ، وذلك لانفراد الموضوع من بين سائر اقسام الحديث بالكذب الصريح ، وذلك ما لا تجده في اى نوع من انواع الضعيف ، وتعريف الموضوع عند جميع من ألف في علم المصطلح هو : ( المختلق المصنوع ) وسواء اكان قسماً رابعاً قائماً بذاته ام كان نوعاً مندرجاً تحت قسم فيبقى حكمه واحداً في الحالين وهو : حرمة روايته ونسبته الى رسول الله ﷺ .

ولا ريب عندي ان من الف او كتب في هذا العلم او بعضا منهم قد يكون قام في ذهنه هذا الذي اشرت اليه ، فهم من العلم والفهم بمكان يصعب معه اللحاق بهم ، غير ان هناك في ظني سبباً حملهم على اعتبار الحديث الموضوع نوعاً لا قسماً ، ولعل هذا السبب هو : ان تقسيم الحديث الى اقسام ثلاثة باعتبار أن مراتب القبول ثلاثة ، اعلاها الصحة ، وادناها الضعف وبينهما مرتبة وسط لا تعلو الى مرتبة الصحة فتكون منها ، ولا تتدنى الى مرتبة الضعف فتكون منها ، وهي مرتبة الحسن .

ثم اضيف ان هذا التقسيم اصطلاحى حادث فلا يمنع ان يكون هناك تقسيم آخر بحيث يقرب الامر به اكثر من غيره .

ومما يدعوني الى اعتبار الحديث الموضوع قسماً قائماً بذاته هو اجماعهم على رفضه وعدم جواز نسبته الى رسول الله ﷺ في حين ان الضعيف فيه الاختلاف المعروف بين العلماء ، والقائلون بجواز الاخذ بالضعيف هم مع القائلين بعدم الاخذ بالموضوع ، علماً بان الحديث الضعيف يمكن ان يرقى الى مرتبة الحديث الحسن وليس كذلك الحديث الموضوع .

اذاً ؟ ؟

اذاً فهناك اسباب اربعة تكفي في ظني لجعل الحديث الموضوع قسماً قائماً بذاته وهي :

اولا : انفراد الحديث الموضوع من بين سائر انواع الحديث بالكذب

ثانيا : اجماع العلماء على رفضه وعدم جواز نسبته الى الرسول الكريم

ثالثا : عدم ارتقاء الحديث الموضوع مهما بلغت طرقة من الكثرة الى مرتبة الحسن بخلاف الحديث الضعيف

رابعا : ان تقسيم الحديث الى ثلاثة اقسام تقسيم اصطلاحى حادث وليس تقسيماً شرعياً .

## القرائن الدالة على وضع الحديث :

إذا تبين لنا ذلك يحسن ان نقف على القرائن التي يعرف بها الحديث الموضوع من غير اقرار الواضع على نفسه بالوضع .

يقول الربيع بن خشيم : ان للحديث ضوءا كضوء النهار يعرفه ، وظلمة كظلمة الليل تنكره ، ويقول ابن الجوزي : الحديث المنكر يقشعر له جلد طالب العلم وينفر منه قلبه في الغالب .

هذا الضوء في الحديث لا يعرفه الا الذي عانى الحديث وصبر على مشقة نواله وصار له دراية بكلماته والفاظه بحيث تصبح مألوفة لقلبه ، فاذا خالفت عن ذلك الالف الطويل كانت الظلمة التي تجعل الحديث غير مقبول عند طالب العلم الذي ذكره ابن الجوزي ، وهو الذي يكون همه مصروفا الى حديث رسول الله ﷺ ولذلك قال البلقيني رحمه الله : وشاهد هذا ان انسانا لو خدم انسانا سنين وعرف ما يحب وما يكره ، فادعى انسان انه كان يكره شيئا يعلم ذلك انه يحبه فبمجرد سماعه يبادر الى تكذيبه .

واعلم ان هذه ان صح ان نقول عنها انها قرينة وضع الحديث فهي قرينة خاصة بالخاصة وهم اهل الحديث ، علما بانها ليست قرينة تصلح للتقريب بين ما هو ثابت وبين ما هو مضطرب لانها قرينة تولدها المعاناة الطويلة والصبر الدائب في علم الحديث ، وهي لا تكون الا لفئة قليلة من الناس ، وعلى هذا فيمكن اعتبارها قرينة خاصة .

وهي قرينة يدرك بها ما في المعنى وما في اللفظ جميعا او منفردين ، وهي كذلك ليس لها تحديد يمكن اعتبارها على اساسه ، بل هي اشبه ماتكون بالالهام النفسي وقد ثبت عن كثير من السلف الصالح ما يؤيد هذا في اقوالهم وكلماتهم .

اما القرينة الثانية فهي ركافة المعنى ، فحيثما وجدت دلت على وضع الحديث لان هذا الدين — كما قال ابن تيمية رحمه الله — كله محاسن ، والركة ترجع الى الرداءة والرداءة تتنافى مع المحاسن ، اما ركافة اللفظ فلا تدل على وضعه لاحتمال ان يكون الرواي رواه بالمعنى فغير الفاظه بغير فصيح .

هذا اذا كان السند سليماً اما اذا خلا السند من السلامة فليس الامر كما يقول  
 — بل تكون ركافة اللفظ حينئذ قرينة من قرائن الوضع ، لان الرسول عليه وآله  
 الصلاة والسلام كان افصح الناس لساناً ، وابينهم كلاماً — وأوتي جوامع الكلم ،  
 وقد اجمع اهل العلم قاطبة على ان فصاحة الحديث النبوي تحتل المرتبة الثانية بعد  
 فصاحة القرآن الكريم ، مثال الركافة ( لو كان الارز رجلاً لكان حليماً ما اكله  
 جائع إلا اشبعه ) .

القرينة الثالثة : مناقضته لنص من القرآن او السنة الصحيحة او الاجماع القطعي  
 مثال مناقضته للقرآن ( لو احسن احدكم الظن بحجر لنفعه ) فهو مخالف لآيات  
 التوحيد ، ومثال مناقضته للسنة ( اذا حدثتم غني بحديث يوافق الحق فخذوا به  
 حدثت به او لم يحدث ) فهو مخالف للحديث المواتر : من كذب على متعمداً  
 فليعبوا مقعده من النار

القرينة الرابعة : اشتماله على مجازفات في الوعد والوعيد ، مثاله في الوعد :  
 ( من صلى الضحى كذا وكذا ركعة اعطي ثواب سبعين نبياً ) ومثاله في الوعيد : ( من  
 أكل الثوم ليلة الجمعة فليهو في النار سبعين خريفاً ) .

القرينة الخامسة : مناقضته لصريح العقل مثاله : ( اتخذوا الحمام المقاصيص  
 فانها تلهي الجن عن صبيانكم ) .

قرائن اخرى :

وهناك علامات اخرى يمكن معرفتها بالرجوع الى كتب مصطلح الحديث  
 مثل : سماجة الحديث وكونه مما يسخر منه ، ومنها ان يكون باطلاً في نفسه ،  
 ومنها ان لا يشبه كلام الانبياء بل ولا يشبه كلام الصحابة ، ومنها ان يشتمل على  
 تاريخ الأهم السابقة .

هذا فضلاً عن اقرار الواضع بما وضع كاقرار عمر بن صبيح التميمي انه  
 وضع خطبة ونسبها الى النبي ﷺ ، واقرار ميسره بن عبدربه الفارسي انه وضع

احاديث في فضائل القرآن ، واقرار غيرهما من احتواهم تاريخ الرجال وكشف  
النقاد زيفهم --- اضطر كثيرا منهم أخسيرا الى الاقرار بما افتروا ونسبوه  
كذبها وزورا الى صاحب الرسالة صلوات الله وسلامه عليه .

وبذلك تمت النعمة على هذه الامة بحفظ سنة نبينا كما حفظ من قبل كتاب  
ربها ، وصدق فيها ما صدق في الكتاب ( انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون )  
ومما لا نجزم به ان شيئا من السنة لم يصلنا ، ولكن ليس هذا من عدم الحفظ  
للسنة اذ معنى الحفظ ان الله تكفل بحفظ ما بلغنا وحفظ لنا في الصدور والسطور ،  
وهو ما الامة بحاجة اليه في دنياها وآخرتها ، وبذلك ظل دين الله تاما في مأمن من  
غوائل الافكار والمبادئ التي طم بلاؤها وعم فسادها والحمد لله اولا وآخرا .

